و للروح ارتواء

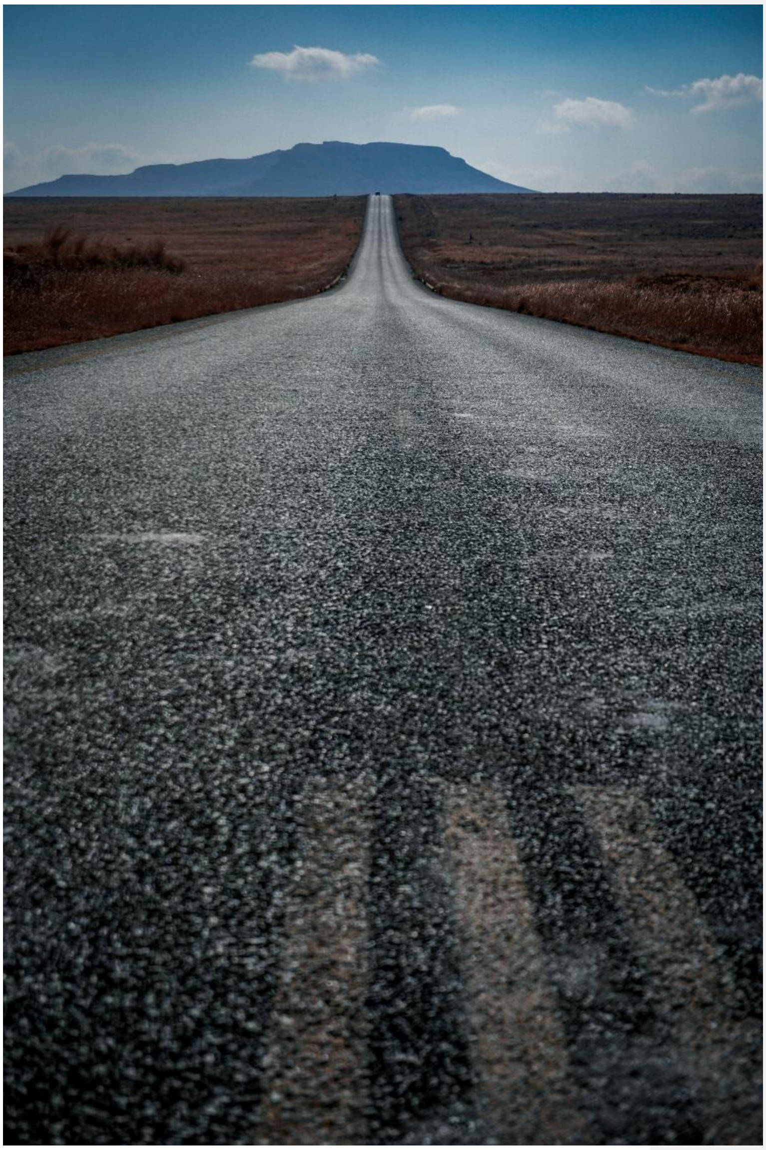

تفريغ محاضرة

من أين نبدأ؟

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٥/١/٦ هـ

من أين نبدأ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله..

حياكم الله بعد انقطاع والحمدلله على العودة، و أسأله ألا يحرمنا هذه المجالس..

سؤال البدايات

سؤال حديثنا اليوم بعنوان (من أين نبدأ؟)، وسؤال البدايات عادة يطرح في بداية كل عام ونهايته، وأحيانا يطرح خلال العام حينما يريد الإنسان أن يغير من نفسه، ويبدأ صفحة جديدة، أو عندما يريد اتخاذ قرار ما، أو ترك شيء، وقد يكون في لحظة غير مرتبطة ببداية أو نهاية، كرجوع من حج أو خروج من شهر رمضان، وقد يكون في موقف حياتي مرغوب به شخصيا.

قد يراجع الإنسان نفسه بعد وفاة شخص ما، أو حدوث موقف ما يهز فيه صاحبه، أو مصيبة تصيبه، فيصير الإنسان يراجع نفسه وقرارته، فيسأل نفسه هل يسير بالاتجاه الصحيح أم لا، وغالبا مثل هذه التساؤلات التي قد تخالج النفس تجر بعضها بعضا، فتنتهي إلى نماذج أسئلة مثل من أين أبدأ؟ وماذا أعمل؟ وإذا أردت التغيير فكيف لي أن أغير؟ وما هي الخطوة الأولى؟

وقد تطرقنا خلال أحاديثنا الماضية عن شيء من هذا القبيل، كوضع خطة شخصية في بداية عام جديد، ووضع أهداف لها، وتكلمنا أيضا عن دليل عملي وخطوات عملية يمكن فعلها في هذا السبيل، ولكن هل هذا كل شيء؟

الإجابة لا، هناك أسئلة في البدايات تعتبر خطوات مهمة لابد للإنسان أن ينتبه لها، وحديثنا اليوم يتمحور حول ثلاث أسئلة من أسئلة البدايات..

السؤال الأول: من أين نبدأ؟

ويتحقق هذا السؤال بشيئين:

الأول: أنه لا يمكن أن نبدأ بأي نوع من البدايات أو الإصلاح، أو أي نوع من أنواع التغيير دون البدء بالنقطة الأولى داخلنا وهي القلب.

فالقلب هو المحور الأساسي لكل شيء من أنواع التغيير، وقد ورد هذا بحديث النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما قال: "...أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ..." ()[١] أي أن صلاح

---

[١] [أخرجه البخاري في صحيحه]،

القلب مرتبط بصلاح الأحوال والأعمال، فصلاح الذات والتغيير والأخذ بالنفس للأفضل ماهو إلا بداية أولى بالقلب، فما السبيل إلى ذلك ؟

الله عز وجل لا ينظر إلى صورنا، ولا إلى أشكالنا، ولكن ينظر إلى قلوبنا، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» ()[٢] فالشيء الذي تنعقد عليه البداية هو القلب، وهو الذي سينظر الله عز وجل إليه أولا، لا صورنا ولا أشكالنا ولا معاملاتنا مع الناس، كل هذا غير موجود في كفة الترجيح،

إذن كيف ينظر الله إلى قلبك؟ إذا صلح القلب صلح الجسد كله ولما يفسد القلب يكون فساد الأحوال، لذلك قال الله عزوجل:{ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} (الصف،٥) هذه الآية موجعة ومؤلمة، فنحن أحيانا نتعذب عندما نرى تأخيرا في قرار نريد اتخاذه، أو أنه قد يتبادر لأذهاننا أن الله لم يهدنا، فنقول أن الله لم يكتبه، القضية ليست أن الله لم يكتبه أو لم يهد ، ولكن الخطوة الأولى يجب أن تأتي منك أولا، فمن تقدم إلي شبرا تقدمت إليه ذراعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، وهذا ما قاله العلماء دائما.

وفي الآية عندما كانت الخطوة الأولى منهم الفساد زاغوا، هم قرروا ابتداء عدم اتخاذ خطوة نحو القرار الصحيح، وعدم تغيير حياتهم للأحسن بل للأسوأ، مثل لما تسافر فتاة، فتقرر أنها لن تتحجب، أو قررت الإقدام على أي فعل من المحرمات، ولم تكن بالأصل تفعله قبل، عندما زاغت وانحرفت زاغ قلبها، فلما طلبت الرجوع والعودة نقول أين أنتِ من الخطوة والقرار الأوائل! ولذلك هي آية مؤلمة.

يقول الله عز وجل:{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}(الأنعام،١١٠) أي نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لو أنه لم يمر عليهم حلقة ذكر، ولم يسمعوا درسًا في حياتهم، ولم تدخل موعظة في قلوبهم، فيفعل هذا الإثم وهذا الشر وكأنه لا يفقه شيئًا.

تُرى كيف لقلوبنا أن تتحول؟ وكيف لنا أن ننسى بهذه السرعة؟

لأن الخطوة الأولى داخل القلب كانت شرا، فلما أراد الشر ختم الله عزوجل عليه..

القلب مسافر دوما إلى وجهته وهو في حالة نبض دوما، وحال القلب مثل إنسان يركب سفينة، فلو نام في السفينة أو قام هي تمشي إلى وجهتها، كذلك قلبك ينبض طوال الوقت وهو مسافر إلى الله عز وجل ولكن بأي طريقة يسافر هذا هو السؤال!

---

[٢] [أخرجه مسلم في صحيحه]

هناك أناس غارقون في الغفلة، السفينة تبحر بهم، وعمرهم يمضي، والقلب ينبض، لكنهم لا يعلمون عن حياتهم شيئا، وما النهاية التي سيصلون إليها مع هذه المعيشة، وهم لم يسألوا أنفسهم إلى أين ستصل؟ هؤلاء هم الغافلون

وهناك أناس متيقظون، وهم مسافرون على السفينة عالمين بسفرهم، هذا السفر يكون إلى الله عز وجل فهو راكب ومتيقظ، ويعمل لهذا السفر طوال الوقت، هذا الإنسان سافر بقلبه، يقول النبي -عليه الصلاة والسلام: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»()[3] أمعنوا فهمكم، المسافر هنا من والمهاجر من؟ المهاجر من هجر ما نهى الله عنه، هذا الإنسان الذي هاجر، قد قرر مسبقا بالسفر إلى الله، فهو سفر أخروي ليس إلى دنيا يصيبها

- فائدة: لو لم نتعلم من العلم إلا الكتاب والسنة بأخذ تلك الأحاديث وتجريدها وتتبع ما فيها، وقراءة البخاري ومسلم مع شرحيهما، ولو كان بسيطا ستجد نفسك قد تعلمت أمورا غائبة عن الذهن..

في الحديث يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم - «: تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ، علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ()[4] »

فيعرفنا في هذا الحديث آلية صلاح القلب وإصلاحه لسائر الحال، وها نحن بصدد الإجابة عن سؤال من أين نبدأ؟ وقلنا أن التغيير لا يتم إلا بصلاح القلب، فكان هذا الحديث خير دليل، يتحدث الرسول -صلى الله عليه وسلم-في هذا الحديث عن الحصير، والحصير معروف يتشابك من أعواد صغيرة جدا، فشبه الفتن بهذه الأعواد، تعرض على القلوب عودا عودا، وهذا يعني أن الفتن لا تأتي دائما على هيئة ابتلاءات كبيرة، نحن نبتلى في اليوم عشرات المرات، وقد نبتلى بساعة عشرة ابتلاءات، قد تأتي الفتنة عند محادثة صديق، أو في قرار عمل، وقد تأتي أثناء حديث كهذا بقول فلان وقول علان، فتعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء.

يقال أن حجم قلب كل إنسان بحجم كفه، فتخيلوا هذا الحجم ينكت فيه نكتة سوداء بكل ذنب، مرة في إحدى الدروس أمسكت ورقة وخلال حديثي قمت بتنقيط الورقة بدبوس صغير، لم تمض سوى خمس دقائق إلا وقد امتلأت الورقة.

فكروا معي ماذا سيحل بهذا القلب بعد مرور أربعة أيام وما بها من ذنوب عادية، مسلسل وسماع أغنية، ثم مشاهدة فيلم،، وعورات، وموسيقى، فتخيلوا ماذا سيبقى من القلب بعد هذه الأربعة أيام، فكيف بعد عشرين سنة

---

[3] [أخرجه البخاري في صحيحه] ،

[4] [أخرجه مسلم في صحيحه]

من ذنوبنا اليومية المتواصلة، ماذا سيبقى من بياض هذا القلب، تخيلوا أنظف وأحسن قلب فينا ، قد يذنب في اليوم مرة أو مرتين، غيبة أو كذبة، همزة ولمزة، أو خاطر سوء وحقد وسوء ظن، يقول النبي -عليه الصلاة والسلام- فأي قلب أشربها يعني هذه الفتن نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير على قلبين

فانظر لنتيجة الاثنين أحدهما أنكر، وقال للذنب لا وأغمض عينيه وأعرض عن سمعه، فهذا ينكت في قلبه نكتة بيضاء (قاعد يتنظف)، أما الثاني، فيتجرأ على الذنب والمعصية، ولم يمنع نفسه عنهما، لأنه لم يتخذ قرارا بالتدين بعد، فيتراكم الذنب على الذنب، فتخيل حال القلبين الآن، قلب أبيض كالصفا -حجر الصفا في الحرم - فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، ويجلس على هذا الحال سنين من غير ضرر، لأنه صار حجرا أبيض نقيا، يحرق كل شبهة وشهوة تعتريه.

أما القلب الثاني المؤلم، كالكوز مجخيا، يعني مقلوب على رأسه، فلو أنك صببت فوق هذا الكأس كل أنواع المشروبات اللذيذة، مهما كان صاحب هذا الكأس عطشا هل يدخله شيء؟ لا لن يدخل، ستنسكب يمينا ويسارا، لأن القلب كالكوز مجخيا لن يقوم بمهمته التي أوكله الله بها من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، هذا القلب تحول إلى شيء لا يعرف معروفا ولا منكرا، ولذلك هناك فئة من التي استمرأت الضلال، تلقاهم بعد فترة فتنكر عليهم فيقول ليس حراما، يبدو أنه جائز، عندما يؤمر بالصلاة يتساءل لماذا أصلي؟ ويسأل أسئلة بالأشياء الأولى التي يفترض أن تكون من المسلمات.

إذن فالفتن تعرض على هذه القلوب، ويكون من أمرها أن تكون إما أبيض من الصفا، أو كالكوز مجخيا.

يقول ابن رجب -رحمه الله-:(**القوم إذا صلحت قلوبهم فلم يبق فيها إرادة لغير الله عز وجل، صلحت جوارحهم فلم تتحرك إلا لله عز وجل وبما فيه رضاه)**

فلاحظ هذا الإنسان الذي أنكر المنكر فنكت في قلبه نكتة بيضاء، صلح قلبه، فلما صلح قلبه لم يسكن في القلب إلا ما يريده الله عز وجل، وهذا كلام مهم يختصر عليك أشياء كثيرة، فهناك من يظن أنه يجب عليه أن يجاهد نفسه مجاهدات كبيرة، وأن يلتزم ويتخذ قرارات بنفس الحجم حتى يصلح قلبه، لكن الضربة الأولى هي ضربة البداية، وبعدها يسهل الله عز وجل لهذا الإنسان ما يصبو إليه، هنا يكون الإنسان قد تقدم بشبر إلى الله، فيقدم له عز وجل أضلع الخير.

عندما يمشي الإنسان هذه الخطوة الثقيلة إلى الله، ينزع فيها نفسه نزعا، فإذا الله عز وجل يأتيه هرولة، تخيل أن تتوب من أمر صغير وتافه بعينيك وأمامك ما يزال ذنوب عظيمة، ولا يمكنك تصور تركها، ولكن بتوبة ذلك الذنب الصغير يثبك الله بالإقلاع عن الذنوب العظام في عينيك، وهذا من كرم الله عز وجل علينا .

في الحديث سئلت أم سَلَمَةَ: مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ» ()[٥]

هذا الحديث فيه بشارة ونذارة، وجميعنا نعلم أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء قلبها إلى هدى أو إلى ضلالة، فعندما يقلب الله القلب إلى هدى، يعنى أنك تستيقظ في يوم وتجد أن قلبك نازع إلى هدى، وهذا قد يكون ثمرة شيء صغير فعلته ولم تحسب أن هذه ثمرته، فالله يقلب القلب بين يوم وليلة، فهناك الكثير من القصص التي نسمعها عن توبة إنسان كان منحرفا أو مدمن مخدرات وغيرها، بيوم أخذ قرارا وتغير، في حين أن الكثير يدفع الملايين للتغيير.

يقول ابن القيم -رحمه الله - : **الصادق في توبته لا يجد من ألم التوبة إلا ما يمتحن فيه.**

وهذا يدل على أن لحظة اتخاذ القرار يسهل الله عز وجل الطريق، وتصعب عليه العودة لماضيه وكأنها صفحة وانطوت.

القلب عندما ينقلب إلى الهدى يكون لله عز وجل، فلا يتوكل إلا على الله، ولا يرجو إلا الله، فتكون كل علاقاته على هذا النحو، فلا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا له، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا له، فتصبح أعمال الإنسان متمحورة لله لأن القلب سكن له عز وجل.

وهذه هي إجابة واحدة من الإجابات في قضية استصلاح القلب، وهذا الاستصلاح يحتاج إلى المجاهدة التي قال الله عز وجل عنها:" وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا" [العنكبوت:٦٩]، أي الإعراض عن شيء محبوب من الحرام، أو الجنوح عن قرار متخذ منذ سنوات للبدء به، فهذا كله من أنواع الجهاد،

يقول الشيخ ابن باز -رحمه الله- عن هذه الآية: أعظم الجهاد هو جهاد النفس وجهاد الشيطان، وهو أعظم من جهاد الأعداء، وهذا يعني أن بطولات خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، ولا أي فارس من فرسان المسلمين الذين فتحوا العالم، نعتقد أنهم قد فعلوا أعظم ما يمكن فعله، وهو أن يكون الإنسان مجاهدا في سبيل الله، ولكن مجاهدة النفس هي أعظم أنواع الجهاد، فتلك المحاورات التي تخوضها بينك وبين نفسك ليست بالشيء الهين، فلا تستخف بها، حينما تثبت حبك لله عز وجل بإقبال النفس عليه، وإدبارها عن نواهيه، فهذا من الجهاد الذي سيثيب الله عز وجل عليها بالهدى، فمن جاهد سيهديه الله عز وجل إلى سبيله.

---

[٥] أخرجه الترمذي في سننه وقال الألباني صحيح]

فلو قرر الإنسان أن يتجاهل هذا الطريق، فلا هو يجاهد نفسه، ولا يتحمل تأنيب الضمير وتلك الوخزات والإحساس بالتقصير، والشعور بالخطأ، فهذا الذي لا يريد كل هذا سيأتي يوم القيامة وهو فارغ لا يدري أين يذهب، فالعيش في تلك السبهللة بعدم المجاهدة وتخفيف الأمور، سينحرف عن طريق الله عز وجل وليس له إلا الطريق الثاني.

يقول الله عز وجل:" وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ " [الزخرف:٣٦] أي سيجعل الله له قرينا، وهو الشيطان فهل يسعد ذاك القرين الإنسان؟ ولو ارتكب كل الذنوب، هل سيكون سعيدا؟ سينطق ذاك الشيطان ويغويك بلغتك وبالطريقة التي أنت تفهمها، سيقول لك ما تحب وما تكره، سيسفه كلام الناصحين، ويعظم لك كلام العاصين ،فيجلب لك الشر ويقول لك أنك من أصحابه، وعندما تتمرغ في الشرور ما النتيجة؟ عندما ضمن أنك وصلت إلى قاع الآثام، وصرت أسيره، ماذا سيفعل؟ سيتركك بوحلك وأوساخك، ويبحث له عن ضحية جديدة، فتبقى وحيدا ملطخا بذنوب لا تعرف كيف السبيل للهروب منها، فلا أنت ذاك السعيد، ولا أنت عارف سبيل الخلاص منها.

ويقول الله عز وجل في آية أخرى:" وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)" [طه].

فقال في الآية رب لم حشرتني أعمى، كنت بكامل صحتي في الدنيا، كنت أرى، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى، فتعيش في الدنيا كأن ليس هناك رب، تدعو فلا يستجاب لك، وتستنصر الله فلا ينصرك، وتسأله فلا يعطيك، كأنك يتيم بلا مدد من الله عز وجل، وأي حياة حينما لا يكون عندك مدد من الله؟

إذن ليس هناك خيار للإنسان بعدم مجاهدة النفس، والعجب بحاله التي هو عليها، ولذلك قال الله عز وجل:(... وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ ....) (الحشر،١٨)

عندما يأمر الله عباده بالتفكر في أنفسهم، وماذا قدموا لغد الذي هو يوم القيامة، هي ذاتها فكرة تخطيط الخطة الشخصية في بداية سنة أو نهايتها، وهذا يعتبر جزء من محاسبة النفس التي ينبغي علينا اتباعها، وهذا قول الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد.

هنا توجد مشكلة، ليست مشكلة شخصية تواجهها أنت فقط، بل يمكن لها أن تتعدى لغيرك، فعندما تسكت عن شرورك ويسكت غيرك عن شروره، ويسكت الجميع عن الشر القائم، ستنزل عقوبة من السماء على هؤلاء الذين رأوا المنكر ولم يغيروه، سواء كان هذا المنكر في نفسه، أو في غيره، وأحيانا يصل الأمر للتعايش معه وهذا ليس بالأمر السهل.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام :"إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوَا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّروه يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهم الله بعقاب" (٦)

---

٦ [أخرجه ابن ماجه وقال الألباني صحيح]

عندما ترد علينا مثل هذه الأحاديث غالبا ما نأخذها كقواعد ومعلومات، فعند فشل عملية إنكار المنكر سينزل الله عقوبته، بل ينبغي عند قراءتها استشعارها على أنفسنا، فعندما لا ينكر المنكر توشك أن تنزل العقوبة عليك أنت شخصيا.

أنت رقم ثلاثمائة وأربعة وخمسون من هؤلاء المليون الموجودين، أنت رقم من الأرقام، فلا تنظر لغيرك ولما سيحل به عند إعراضه عن الأمر بالمعروف، والاستسلام لتلك الحياة التي تضج بالمنكرات، لأن هذا لن ينفعك يوم القيامة، ولن ينفعك يوم العذاب، فهذا الاشتراك لن يضرهم ولن ينفعهم، لأن من عذابات يوم القيامة أن يعذب كل إنسان بمفرده دون أن يعلم الآخر عنه، فلا يعلم عن عذابه شيء.

استصلاح القلب

لإصلاح القلب نحتاج لأشياء كثيرة تكلمنا عنها من قبل، منها قضية التخلية والتحلية، تنظف قلبك من كل شيء فيه، تنظفه من الذنوب والخطايا ومافيه، و تحليه بالعمل الصالح وهذا مهم.

إذن الإجراء يكون بجعل قلبك ما بين التخلية بتنظيف القلب، وما بين التحلية بزيادته بالعمل الصالح، ولعمل هذا نحتاج إلى شيء آخر نذكره فيما بعد

من المهم مع بدء إصلاح القلب إصلاح العلاقة بالله، علاقتك أنت شخصيا، فينبغي الرجوع وإصلاح الأخطاء في هذه العلاقة، وإمعان النظر في إذا ما كدرها أو أصابها شيء ما.

لماذا يجب أن نحسن هذه العلاقة بالله عز وجل؟

لأن الله عز وجل يقول:{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} (الشورى،٣٠)

في هذه الآية يخيل لنا أن المصائب قد تكون في البدن أو المال أو الدنيا، لكن أعظم المصائب التي يمكن أن يصاب بها الإنسان هي مصيبة الدين، أن يموت قلبك ويفتر عملك، أن تعيش من غير لذة ولا طعم لهذه الدنيا، حتى الصلاة والعبادة، فتعيش الحياة وكأنها تحصيل حاصل، وهذه مصيبة، لأن فقدان لذة الحياة سيفقدك العمل، أي أنه ارتداد روحي، فالحياة لا يمكن أن تكون بدون علاقة بينك وبين الله.

الخطوب العظيمة والمصائب والبلايا أيضا، لا يمكن أن يمر بها الإنسان دون علاقة بينه وبين الله، عند انعدام تلك العلاقة يدخل الإنسان في دائرة الحزن والكآبة، لأنه يشعر وكأنه بمواجهة مع طوفان لوحده، وهو غير قادر على مواجهة الدنيا لوحده، ولذلك أشد الناس حزنا أولئك الذين يخوضون غمار الدنيا وحدهم دون مدد من الله عز وجل، حتى لو كانوا أكثر الناس اجتماعية، مواعيد واتصالات ورسائل، إن كانت علاقته بالله مقطوعة فهذا هو الخذلان.

من لقي الله فماذا فقد ومن فقد الله عز وجل فمن وجد؟

هب أن كل أبواب الدنيا مفتوحة لك، وكل الأرزاق صبت عليك، وجاءتك العلاوات والترقيات على طبق من فضة، لكنك في طريقك هذا أضعت طريق الله، وفقدت علاقتك به عز وجل، فماذا وجدت؟ لا شيء وهذه هي حقيقة العلاقة. ولذلك يقال دوما، تحسس علاقتك بالله علك لا تفقدها، وحافظ عليها كما تحافظ على روحك، لأنك دونها لا شيء.

ماذا لو كان لديك صديق تحبه حب الرؤية، توأم روحك كما يقولون، وهذا الصديق دوما ما تراعيه وتهتم له، لو أنك أرسلت له رسالة ولم يرد، درت على نفسك من الهم، لماذا لم يجب، وماذا فعلت له، أحزنته قبل أمس، أم كان ردي جافا في اليوم التالي، تصبح في دائرة من الهم القلق، وغالبا سيرد في وقت قصير.

علاقتنا مع الله تستحق أكثر من ذلك، وأظن أننا لم نتفقد علاقتنا بالله يوما بهذه الطريقة، عندما دعوت في اليوم الفلاني فلم يستجب لك هل قلقت؟ خفت من كدر حصل بينك وبين الله؟

الحسن البصري -رحمه الله- كان يقول:" **أخاف أن يكون قد اطلع علي في غير موقف فمقتني**" فهو يقوم ليله ونهار ويفعل ويفعل لأنه يريد المسامحة من الله عز وجل،

عندما نتكلم عن عظمة علاقتك مع الله، وأنها لما تنصلح يصلح الله ما بينك وبين الناس، نتساءل كيف أعرف أن علاقتي بالله علاقة صحيحة أم لا؟

نحن على دراية بطريقة موازنة العلاقات البشرية، لكن كيف أعرف أن علاقتي بالله تحتاج إلى تحسين أم لا؟

ولهذه علامات:

- المحبة والخشية:

محبة الله عز وجل أكثر من نفسك، حبا حقيقيا في قلبك، ستجد عندها نقاشات تدور داخلك لم تسمعها من قبل، حينما تهم بعمل ما ستسأل نفسك أولا هل يحبه الله، أم لا يرضاه فأتجنبه، عند تركه ستحس بتلك النشوة واللذة لترك شيء أحببته لله فتشعر بفرحة العبادة لأنه ترك شيئا أحبه لله.

فهذا الحب وهذه الخشية، دليل على وجود علاقة بالله عز وجل، ولا يكون الحب والخشية والتعظيم إلا لله عز وجل.

- وجل القلب وشوقه إذا ذكر الله:

فلما تحضر مجلس يذكر فيه اسم الله، أو تسمع لذكره، تشعر بالقلب يذوب من شدة ما يريد أن يكون من أهل الله حتى مع تلك المشاعر بعدم استحقاقه أن يكون من أهل الله كونه مقصرا بعيدا، لكن القلب ينفطر لأن يكون كذلك، فهذا دليل على وجود العلاقة في القلب وتحتاج إلى الصقل.

- أن يبقى الله ودار الجزاء حاضرة في ذهنك في كل موقف:

قال الله -تعالى- في سورة آل عمران لما ذكر الله صفات المتقين: (... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ ...) (سورة آل عمرانِ، ١٩١)

تفكر المتقين في خلق الله يكون على شكل مغاير لما يفعله الأغلب، فسين من الناس أمامه منظر بديع، جبال خضراء، وبحر أزرق، وسماء صافية، فيتأمل فيه تأملا دنيويا لا يدخل في التأمل المذكور في الآية، من يتأمل صنع الله الجميل في الدنيا، ويقول بقلبه فكيف هي الجنة إذا كان هذا جمال الدنيا، ويمر بخاطره أن لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر شربة ماء، فهذا الجمال لكفرة يشركون بالله، يزعمون أن له ولد وزوجة تعالى الله عن ذلك، فما يستمتع به الناس الآن لا شيء أمام جمال الجنة!

من صفات تفكر المتقين أيضا قوله تعالى:" وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ".(آل عمران: ١٩١).

فهذا المتقي قلبه معلق بالله، يعني أن قلبه بعلاقة مع الله عز وجل، فحينما يقف أمام جمال الكون وأمام بديع صنع الله، سيتمتم وهو يتأمل:" رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ".(آل عمران: ١٩١).

تقوية العلاقة

هذه العلاقة تقوى بفعل ما أمر الله، وترك ما نهى عنه، فعندما نسأل من أين نبدأ؟ نبدأ بفعل الأوامر وترك النواهي

الآن وبسرعة، من هذه الليلة، أجرد حياتك وقيمها، ماهي الدرجة التي تستحقها، لا تجامل نفسك فلن يسمعك أحد، واجه نفسك بصراحة، و ارعِ لسوءاتك سمعا، وأصلحها وتب عنها.

إذن فعل أوامر الله أول خطوة، حتى ولو كان الناس معاكسين لها، لأنك لن ترضى بأن تكون في النار ولو كان كل الناس فيها،حسن علاقتك بالله، وانتبه للنقاط المحرمة في حياتك، واجردها، اتركها وأحدث لها توبة، واعمل في سبيلها، وعاهد نفسك على ألا تتعايش معها في سنة ١٤٤٥ ، فلا تجعلها تمضي بذنبك، وقد حباك الله نعمة عيشها، ضع هذا الذنب نصب عينيك، وأقلع عنه، واستعن بالله سيعينك الله.

العلاقة مع الله تكون بشيئين:

- أكلم الله ويكلمني

حينما آتي الصلاة فأنا أكلم الله، أقرأ الحمدلله رب العالمين، الرحمن الرحيم، أكلم الله فأقول رب اغفر لي، وارحمني، وارزقني، واجبرني، واهدني، وعافني، واعفو عني، أقول سبحان ربي العظيم فأكلمه، أدعوه في نهاية التشهد، وأدعو وأدعو، منذ اللحظة التي تنوي فيها الصلاة، وتتوجه بها إلى القبلة، ترفع يديك فتكبر، فأنت دخلت في موعد مع الله عز وجل.

يكلمني الله فيلهمني أن أفتح المصحف، المصحف هو كلام الله، كلام الله هو الدرس الأمثل، والرأي السديد، عندما أريد أن أحكم في أمر ما، أو موقف استوقفني، أبحث عن ما ورد في الكتاب والسنة.

عند البدء في دروسنا وفي خطبنا، نبدأ بالوحي، بالقران والسنة، لو أن شيخا ما نبس بكلمة، وقرأ آية وحديثين لكفى، ولذلك النبي-عليه الصلاة والسلام- كان يقول الكلمة ٣ مرات فيعقلها السامع، حديث "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ..." ()[٧]يقوله النبي-عليه الصلاة والسلام- في مجلس واحد فينتهي الدرس.

القرآن لا يقرأ للختمات فقط، القرآن شفاء للقلب، وشفاء لأسئلتك و همومك لدينا إشكال في علاقتنا مع القرآن، فالقرآن يقرأ بنيات كثيرة، وأعظم خمس نيات هي:

أنك تستهدي به، تقرأ القرآن وتقول يارب اهدني، عند قراءة الورد لا يكون بنية صفحات التزمت بها، ويجب علي انهاؤها، بل أقرؤه وداخلي ينطق يارب اهدني، يارب اجعله بلسما لقلبي التعب، أمعن النظر بالآيات ستجدها تحدثك.

كانوا يقولون من قرأ القرآن طالبا للهدى، هداه ومن طلب فيه الشفاء شفاه.

فعندما تجد قلبك قاس، ملول، متردد، محتار، الجأ للقرآن، استهدي به، ستجد الإجابة بمرورك على الآيات، بهذه النية ستجد ضالتك ولو كانت آية مررت عليها مرارا وتكرارا لكنها اليوم ستكلمك.

السور الأخيرة نمر عليها سريعا في ختام الختمة، لكنها مليئة بالدروس التي لم نرع لها سمعنا، ولم نفقهها بقلوبنا، فإن أعطيناها حقها جبر الله بها قلوبنا.

تحسين العلاقة مع الله تكون بفعل الأوامر والنواهي، وتحسين علاقتك بالصلاة، وقراءة القران قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:في الحديث القدسي "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ .."()[٨] في الحديث ذكر عبادة الذكر، فمن كان لله أحب، كان له ذاكرا وأكثر ذكرا، وكل ما كان الإنسان ذاكرا لله، كانت علاقته بالله أشد، وهذا نراه في حياتنا اليومية.

أحدهم قلبه معلق بالاسهم فيذكرها بين كل حديث وآخر، وعند كل صديق وقريب، فكل شيء متعلق به الإنسان سيكثر من ذكره، فمن كان قلبه متعلق بالله، سيكون حريصا أشد الحرص على ألا يغيب عن ذكره، سيكون أسير القلق لغيبته الطويلة عن الصلاة والعبادة، سيكون بين الناس ولكن لسانه يلهج بذكره، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» [أخرجه مسلم في صحيحه]يغان على قلب الرسول ومعه

٧[أخرجه البخاري في صحيحه]

٨[أخرجه البخاري في صحيحه]

أصدقاؤه، أبو بكر، وعثمان، ويتحدثون عن هموم الأمة، ومع ذلك يقول لأستغفر الله مئة مرة حتى ينجلي، وهذا يدل على أن مجرد الحضور الكثيف من الناس، يمكن أن يكدر القلب

قال تعالى:" وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ".(البقرة:١٨٦).

حسن العلاقة مع الله-عز وجل- من علاماتها حسن الدعاء، يقول ابن تيمية- رحمه الله - أي دعاء لا يكون في تضرع فهو اعتداء، ويقصد به بلغتنا الدعاء بقلب بارد، فتدعو الله وقلبك لاهٍ في خططك اليومية، وفيما سيحدث في بقية النهار، تدعو من طرف اللسان، فاسأل نفسك عن علاقتك بالدعاء، ستجد نفسك أجبت عن علاقتك بالله عز وجل.

أما الأمر الأخير في تحسين علاقتك بالله عز وجل، هي خبيئة العمل الصالح، فكيف حال خلوتك مع الله عز وجل، ما الذي يخطر على بالك في وحدتك، عند الساعة التاسعة ما الذي تفكر به؟ هل تقوم الليل في سورة مثلا؟ أم تفتح هاتفك على فيلم اقترحه صديقك؟

هذه الخبايا كلما كانت صالحة، كانت علاقتك بالله من حسن إلى حسن

ولذلك حقيقة العلاقة بالله أنك تستقيم كما يريد، لا كما ترغب أنت، فتعبده كما يريد الله عز وجل، لا على هواك وما ترغب،

في القصة محمد بن سوار يعلم ابن أخته سهل بن عبد الله التستري، وهو شخص معروف بالعبادة والزهد، فما كان من خاله إلا أن يلقنه في كل ليلة ثلاث كلمات، فيقول له: قل إن الله معي، إن الله ناظري، إن الله شاهدي، فكلما هم الصغير لينام، ردد هذه الكلمات، واستمر على تكرارها كل ليلة، كبر الصغير والتزم إلى شيخ يعلمه، وأصبح من أحب التلاميذ للشيخ، حتى اشتكى زملاء سهل وأهاليهم من تقديم سهل على غيره من الطلاب، فأراد الشيخ أن يوضح لهم، فأعطى كل طالب دجاجة وسكينا، ونثرهم في الصحراء، وقال: اذهبوا لمكان لن تجدوا به أحدا، واذبحوا تلك الدجاجة به، والأسرع هو الفائز، فتفرق الجمع، وأتوا بذبائحهم، عدا سهل جاء مطأطئ الرأس، ودجاجته بين يديه، فسأله شيخه: لم لم تفعل؟ أجابه أنه لم يجد مكانا لا ينظر الله إليه فيه، هذه العقيدة التي ترعرع عليها هذا القلب، هي حقيقة التقوى التي أمرنا الله بها، فلا يريد أن يراك حيثما نهى، و لا يفتقدك حيث أمرك، فلا تتردد أن تكون حاضرا في مكان يحبه الله، وتأخر عن مكان نهاك الله عنه، بل يجب ألا تتواجد فيه أصلا.

لاحظ هذه العلاقة بين الله عز وجل وعبده قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ"()[٩] فلما أراد الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يبلغنا حب الله

[٩] [أخرجه مسلم في صحيحه]

للتائبين، لم يكتفِ بقول الله :{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}(البقرة:٢٢٢) بل أوحى الله لرسوله في الحديث، أن الله عز وجل يفرح بتوبة عبده، من أنت حتى يفرح الله بتوبتك! هل يحتاج الله لهذا؟ هل يحتاجك؟ هل سينقص من ملكه شيء؟ وهل سيزيده صلاحك شيئا؟! لا أبدا،قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-:"...لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا .."()[١٠]

الخواطر والأفكار

نأتي للسؤال الأخير في قضية من أين نبدأ وهو سؤال العمل

كل عمل يبدأ من نقطة في القلب، تبدأ كل تلك القرارات والبدايات من خاطرة وفكرة، كل شيء يبدأ من خاطرة وفكرة، وهذه الخواطر والأفكار تكبر لتصبح عملا، ولذلك ابن القيم -رحمه الله- في كتابه الداء والدواء تكلم كلاما مستفيضا عن هذه الخواطر والأفكار، وكيف تكبر، ولاحظوا أن الخاطرة تكبر فتصبح فكرة، ثم تكبر لتتحول إلى تصور، ثم يبدأ التصور بشكله الثلاثي الأبعاد، بعد الانتهاء من التصور ننتقل للإرادة، فتريد هذا الشيء بعد التفكير العميق، فإذا تحول إلى إرادة تحول إلى عمل، وعند الاستمرار على العمل يتحول إلى عادة، إذن كل حياتنا ومافيها من عادات يومية، بدأت من خاطرة وفكرة، فعندما نسأل من أين نبدأ؟ نبدأ من إصلاح تلك الخواطر، ذلك الخاطر الأول.

الخواطر على أنواع: خواطر رحمانية، وشيطانية، ونفسانية.

الرحمانية من اسمها تدل على الخير، والشيطانية تدل على الشر، والنفسانية هي أشياء ليست في الشر ولا في الخير.

النفس كالرحى، وهو الشيء الذي يطحن، آلة الطحن، فكل ما تضعه بها يطحن، القمح يصير دقيقا، والحجر يصير بها رملا، كذلك النفس مثل دائرة الرحى، على شغل دائم، فلو وضعت بها خيرا، أظهرت لك خيرا، ولو وضعت بها شرا، أظهرت لك شرا.

ونفسك إن لم تشغلها بالطاعة، شغلتك بالمعصية، فتلك الخواطر لا تقف أبدا.

من أين تأتي تلك الخواطر الرحمانية؟ وكيف أستجلبها؟ كيف أصلح خواطري وأجعلها متعلقة بالله ؟ عندما تشغل بالك بالله، ومع الله، فكل شيء يدلك على الله تشغل بالك به، فيصير همك كيف ترضي الله عز وجل.

عليك أن تبحث عن الأشياء التي تناسبك وتقربك من الله، فمن أين تبدأ؟ بالأسماء والصفات، أم دروس في العقيدة، أو في الشمائل المحمدية، أم في سيرة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- كل هذه أبواب تقربك إلى الله عز وجل، وكل إنسان يختار الباب الذي يحب أن يشغل باله وعقله به، فتقوى علاقته بالله عز وجل.

حين تقرر أن تشغل بالك بالله، فأخذت على عاتقك الإكثار من الذكر والخشوع في الدعاء، وقراءة القرآن بنوايا عظيمة، ولكنك لم تحتمِ من الشر، فلم تحرس قلبك من الأدران والقاذورات، فلن تنتفع حق الانتفاع، كشخص اعترضه تسمم، ودخل في حالة من الإعياء، والتعب، وعلامات هذا المرض، أول ما يطلب منه الامتناع عن الأكل، و البدء بحمية، فيتمنع عن الأكل الثقيل، والدهون، وتناول بعض المأكولات المحددة، ثم بدأ بأخذ الدواء ولم يلتزم بالحمية،

---

[١٠] [أخرجه مسلم في صحيحه]

هل سيشفى؟ لن ينفعه الدواء فقط، وهذا كحال من عقد على استصلاح قلبه، فنحن بحاجة للحماية من المحرمات، والاستزادة من الصالحات، كما قال ابن القيم -رحمه الله- في كتابه علاج الخواطر:" ولا نفع من غير أن يحتمي من هذه الأدران وهذه القاذورات "

أما الأمر الثالث، فلا تسمح لتلك الخواطر بالاسقرار، فلو مرت بك تلك الخاطرة السيئة، حاول بشتى الطرق أن تتحاشاها، لأن خواطر الشر لها لذة، فيزينها الشيطان في قلبك، ويضخمها في ذهنك، فتقعد يوما كاملا تتخيل ما طرأ على بالك، فكيف السبيل لتركها؟

يقول ابن القيم -رحمه الله-:" وازن بين محبوب خسيس وبين محبوب أعظم "،تجنبها بالموازنة، فلو فعلت وآثرت الفاني على الباقي ما الفائدة؟ خاطب نفسك بعقل مفكر، ولا تترك نفسك للخواطر تسحبك، فحين تميل لها، قف واعلم أنها مجرد خاطرة، لا تستسلم لها فتصير فكرة ثم عمل.

معادلة ١٠*١٠*١٠

هذه قاعدة عملية يمكنك القيام بها، فكر بعد مرور ١٠ دقائق من الأمر، لو فعلته ماذا ستكون سعيد أم نادم؟

وبعد مرور ١٠ أشهر، لو تذكرت هذه اللحظة كيف ستكون سعيد أم نادم؟

وبعد مرور ١٠ سنوات لو تذكرت هذه اللحظة كيف ستكون سعيد أم نادم؟

فلعلها تفيدك بالموازنة بين محبوبك الأعظم الذي ترغب بتحسين علاقتك به، وبين الشيء الفاني وهو لذة عابرة.

قد يستصعب الإنسان هذا الأمر، ولكنها حصلت لامرأة ذاهبة لأداء فريضة الحج، وفقدت ابنها، ولم يمض عليه سوى شهر أو شهرين، أتاها خبر وفاته، عندما تلقت الخبر، سجدت وبكت وقالت: يارب صبرني، ثم قالت: توجهت لله وأنا أقول يارب أنا أحب ابني عبد الله، ولكني أحبك أكثر، فيارب ألهمني صبري، ولا تجعلني أسخط وأجزع، فكل حبي له، لكن حبي لك أكثر.

انظر للموازنة في هذه اللحظة التي تطيش فيها العقول، فكيف بالموازنة في أمور أبسط من ذلك بكثير؟

يقول ابن كثير -رحمه الله-:" أبو صالح مر على رجل، وإذا به واقف ويحرك بيده، فقلت: أي شيء فيك؟ قال: لا إنما أنظر وأرعى، فقال أبو صالح يحسبه مجنون: وأي شيء تنظر وترعى؟ قال: انظر نفسي، وأرعى خواطري، أنشدك الله إلا صرفت عني، قال له: لن أنصرف عنك حتى تعظني، قال: من لزم الباب أثبت بالخدمة"(وكانوا أشد الناس رغبة في الخير)

من لزم الباب أي وقف عنده ولم يتحرك يمنة ويسرة، وأثبت في الخدمة وكأن الله يجربه، صادق في نيته وعزيمته، فيثبته الله ضمن عباده.

وهذه الكلمة وردت في قصة للدكتور عبدالله الجارالله في مقابلة معه، حكى عن طفل في المقرأة التابعة للحرم النبوي، أمريكي مسلم، من عائلة مسلمة، هاجرت من أمريكا للمدينة، طلبت منه أمه الالتحاق بالمقرأة، فقط لتصويب التلاوة مع أنه حافظ للقرآن، وكانت الحلقة قد اكتفت بعدد معين من الطلاب، فلم يُقبل، فقلت للولد البالغ من العمر إحدى عشرة سنة تقريبا: لا يمكن أن تكون معنا لأن الحلقة اكتملت، فقال: هل الحضور ممنوع؟ قلت: لا، ولكن لن نقرئك، ولن نصوب لك، فقال: لا حرج أريد السماع، فأصبح الولد يحضر يوميا قبل البقية، ويقف أمام عيني، فتقع عيني عليه ولا مهرب، ولكني ثبت على كلامي، فأقرئ الجميع إلا هو، ومضى على ذلك شهور، يقول الدكتور: وشعرت بأنه يتحداني، فقلت له: لن أسمع منك ولن أصحح لك، قال: أنا أحضر لأستفيد.

ذهبت بعدها في إجازة لشهر كامل، وأخبرني زملائي أنه كان يأتي كل يوم ويقف خلف العامود ويقرأ، وكأنه في حلقة، فجاءه المشرفون وأخبروه أن الشيخ لن يأتي، قال: سأحضر حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

يقول الدكتور: وصلني ما قاله، وبدا لي أن الطفل يستنصر بالله علي، فلما رجعت أخفيت خبر رجوعي للدرس عن الطلاب، حتى أعرف الحريص، فلم أجد أمامي إلا عبد الله -الولد الأمريكي- فنظر إلي ونظرت إليه، فقلت في خاطري وجبت، فقلت: اقرأ، فلما قرأ كانت قراءته ضعيفة، ونحن في المقرأة لا نسمح بالتحاق هذه المستوى من الضعف، ولكن ألقى الله حبه في قلبي، وتبنيناه ،ولو تسمعه اليوم يقرأ كقراءة شيخ.

فمن لزم الباب أثبت بالخدمة، وهذا الحرص على باب حلقة، فكيف يكون الحرص على باب الله عز وجل؟

من رحمة الله بنا أن ألهمنا سماع هذا الحديث في بداية العام، ونحن في شهر محرم، تنتهي السنة بشهر محرم، وتبدأ بشهر محرم، فتعظم بها السيئات وتضاعف فيها الحسنات، ومن كرم الله عز وجل، أعطانا فرصة الصيام في بداية العام، فمن صامه غفر له السنة التي قبلها، كل هذه الهدايا في بداية العام الجديد تجعلنا نفكر أن يكون العام عاما استثنائيا، فنسأل الله أن يجعل عامه عام رضا، وقبول، وتوفيق، وهداية..

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها